

مركز طهارة التاريخ السعودية لمدرسة علماء الكتاب في جميع مدن المملكة الإسلامية

الأدب الكبير

لإزالة التبع

• كتاب مختار لأدب اللسان •
• كتاب مختار لأدب القلم •
• كتاب المختار

تتمتعون

الأدب الكبير المختار

مؤلفه: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ
١٩١٩ م

دون ميلك وعلى أن لا تكتهم سرك ولا تستطلع ما كتموه ، وتخفي ما أطلعوك عليه من الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث به ، وعلى الإجتهد في رضاهم والتلطف لحاجاتهم والتثيت لحجتهم والتصديق لمقاتلهم والترزين لرأيهم وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا إذا أساءوا ، وترك الاستحسان لما فعلوا إذا أحسنوا ، وكثرة النشر لمحاسنهم ، وحسن الستر لمساويهم والمقاربة لمن قاربوا وإن كان بعيداً والمباعدة لمن باعدوا . . وإن كانوا أقرباء والإهتمام بأمرهم وإن لم يهتموا به ، والحفظ له وإن ضيعوه والذكر له وإن نسوه ، والتخفيف عنهم لمؤونتك والإحتمال لهم كل مؤونة والرضى عنهم بالعفو وقلة الرضى من نفسك لهم بالمجهود . فإن وجدت عنهم وعن صحبتهم غنى فأغن عن ذلك نفسك واعتزل جهدك فإن من يأخذ عملهم يحول بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن لا يأخذ بحقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة .

إنك لا تأمن أنفهم إن أعلمتهم ولا عقوبتهم إن كتمتهم ، ولا تأمن غضبهم إن صدقتهم ولا تأمن سلوتهم إن حدثتهم ، إن لزمهم لم تأمن تبرمهم بك ، وإن زايلتهم لم تأمن عقابهم ، وإنك إن تستأمرهم حملت المؤونة عليهم وإن قطعت الأمر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم ، إنهم إن سخطوا عليك أهلكوك وإن رضوا عنك تكلفت من رضاهم ما لا تطيق ، فإن كنت حافظاً إن بلوك ، جلدأ إن قريوك أميناً إن أئتمنوك ، تشكرهم ولا تكلفهم الشكر بصيراً بأهوائهم مؤثراً لمنافعهم ذليلاً إن ظلموك راضياً إن اسخطوك . . . وإلا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر .

باب الصديق

بذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفقك ومحضرك ، وللعامه بشرك وتحتنك ولعدوك عدلك واضنن بدينك وعرضك عن كل أحد .

إن سمعت من صاحبك كلاماً أو رأياً يعجبك فلا تتحلله تزيئاً به عند

الناس ، واكتف من التزين بأن تجتني الصواب إذا سمعته وتنسبه إلى صاحبه . واعلم أن انتحالك ذاك مسخطة لصاحبك وأن فيه مع ذلك عاراً، فإن بلغ ذلك بك أن تشير برأي الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء وهذا من سوء الأدب الفاشي في الناس ، ومن تمام حسن الخلق والأدب أن تسخو نفسك لأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب إليه رأيه وكلامه وتزينه مع ذلك ما استطعت . لا يكون من خلقك أن تبتدىء حديثاً ثم تقطعه وتقول سوف . . كأنك روأت فيه بعد ابتدائه، وليكن ترويك فيه قبل التفوه به فإن احتجان الحديث بعد افتتاحه سخف وغم^(١) .

أخزن عقلك وكلامك إلا عند إصابة الموضوع فإنه ليس في كل حين يحسن الصواب وإنما تمام إصابة الرأي والقول بإصابة الموضوع فإن أخطأك ذلك أدخلت المحنة على عملك حتى تأتي به إن أتيت به في غير موضعه وهو لا بهاء ولا طلاوة له .

ليعرف العلماء حين تجالسهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول .

إن آثرت أن تفاخر أحداً ممن تستأنس إليه في لهو الحديث فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدون أن تتكلم فيه بما كان هزلاً ، فإذا بلغ الجد أو قاربه فدعه ولا تخلطن بالجد هزلاً ولا بالهزل جداً فإنك إن خلطت بالهزل جداً هجنته وإن خلطت بالهزل جداً كدرته ، غير أنني قد علمت موطناً واحداً إن قدرت أن تستقبل فيه الجد والهزل أصبت الرأي وظهرت على الأقران وذلك إن يتوردك متورد بالسفه والغضب فتجيبه إجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق .

إن رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنيك ذلك فإنما هو أحد رجلين : إن كان رجلاً من إخوان الثقة فانفع مواطنه لك أقربها من عدوك لشر يكفه

(١) الروية : الفكر والتدبر وهي كلمة جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفاً وهي من روأت في الأمر بالهمز إذا نظرت فيه واحتجن المال ضمه إلى نفسه وأمسكه .

عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك ، فأما صديقك فما أغناك أن يجضره ذو ثقتك ، وإن كان رجلاً من غير خاصة إخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلفه أن لا يصاحب ولا يجالس إلا من تهوى .

تحفظ في مجلسك ، وكلامك من التطاول على الأصحاب وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي مداراة لك لا يظن أصحابك أن ما بك التطاول عليهم .

إذا أقبل إليك مقبل بوجهه فسرك ألا يدبر عنك فلا تنعم الإقبال عليه والتفتح له ، فإن الانسان طبع على ضرائب لئوم فمن شأنه أن يرحل عنم لصق به ويلصق بمن رحل عنه .

لا تكثرون ادعاء العلم في كل ما يعرض فإنك من ذلك بين فضيحتين : إما أن ينازعوك فيما ادعيت فيهمج منك على الجهالة والصلف^(١) وإما ألا ينازعوك ويخلوا في يديك ما ادعيت فينكشف منك التصنع والمعجزة .

استحي الحياء كله من أن تخبر صاحبك أنك عالم وأنه جاهل ، مصرحاً أو معرضاً ، وإن استطلت على الأكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء .

إن أنست من نفسك فضلاً فتخرج أن تذكره أو تبديه واعلم أن ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس ، من العيب أكثر مما يقرر لك من الفضل ، واعلم أنك إن صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ، ولا يخفين عليك أن حرص الرجل على إظهار ما عنده وقلة وقاره في ذلك باب من البخل واللؤم ، وأن من خير الأعوان على ذلك السخاء والتكرم .

إن أحببت أن تلبس ثوب الوقار والجمال وتتحلى بحلية المودة عند

(١) الصلف: مجاوزة قدر الظرف والإدعاء فوق ذلك تكبراً .

العامّة وتسلّك الجدد الذي لاخبار^(١) فيه ولا عثار فكن عالماً كجاهل وناطقاً كعبيّ . فأما العلم فيرشدك وأما قلة ادعائه فينفي عنك الحسد ، وأما المنطق إذا احتجت إليه فسيبلغك حاجتك ، وأما الصمت فيكسبك المحبة والوقار .

وإذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته أو يخبر خيراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته فإن في ذلك خفة وشحاً وسوء أدب وسخفاً .

ليعرف إخوانك والعامّة أنك - إن استطعت - إلى أن تفعل ما لا تقول أقرب منك إلى أن تقول ما لا تفعل فعلت ، فإن فضل القول على الفعل عار وهجنة ، وفضل الفعل على القول زينة ، وأنت حقيق فيما وعدت من نفسك أو أخبرت صاحبك عنه أن تحتجن بعض ما في نفسك إعداداً لفضل الفعل على القول ، وتحرزاً بذلك عن تقصير فعل إن قصر وقلما يكون إلا مقصراً .

احفظ قول الحكيم الذي قال : لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك أن العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وأن الصديق ليس بينك وبينه قاض فإنما حكمه رضاه .

إجعل غاية تشبثك في مؤاخاة من تؤاخي ومواصلة من تواصل توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك وإن ظهر لك منه ما تكره فإنه ليس كالمراة التي تطلقها إذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك ، فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخذانه فإن عثر الناس على أنك قطعت رجلاً من إخوانك وإن كنت معذراً نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للإخاء والملال ، وإن

(١) الجدد : المستوي من الأرض وقيل الأرض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد أمن العثار . والخبار أرض رخوة فيها حجرة وفي المثل من تجنب الخبار أمن العثار .

أنت صبرت مع ذلك على مقارنته على غير الرضى عاد ذلك إلى العيب
والنقيصة فالإتقاد والالتئاد والتثبت والتثبت .

إذا نظرت في حال من ترتبه لآخائك فإن كان من إخوان الدين فليكن
فقهياً ليس بمراء ولا حريص ، وإن كان من إخوان الدنيا فليكن حراً ليس
بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع فإن الجاهل أهل لأن يهرب منه أبواه
وإن الكذاب لا يكون أخاً صادقاً لأن الكذب الذي يجري على لسانه إنما
هو من فضول كذب قلبه وإنما سمي الصديق من الصدق ، وقد يتهم صدق
القلب وإن صدق اللسان فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان وإن الشرير
يكسبك العدو ولا حاجة لك في صداقة تجلب العداوة وأن المشنوع شائع
صاحبه .

تحرز من سكر السلطة وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب فإنه
ليس من هذا شيء إلا وهو ريح جنة تسلب العقل وتذهب الوقار وتصرف
القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع .

اعلم أن انقباضك عن الناس يكسبك العداوة وأن انبساطك لهم
يكسبك صديق السوء ، وفسولة الأصدقاء أضر من بغض الأعداء فإنك إن
واصلت صديق السوء أعتيتك جرائمه ، وإن قطعت شائك اسم القطيعة
وألزمك ذلك من يرفع عيبك ولا ينشر عذرک فإن المعاييب تنمى والمعاذير لا
تنمى .

ألبس الناس لباسين ليس للعاقل بد منهما ولا عيش ولا مروءة إلا
بهما ، لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامة فلا تلبس إلا متحفظاً متشدداً
متحرزاً مستعداً ، ولباس انبساط واستئناس تلبسه للخاصة من الثقات
فتلقاهم بنات صدرك وتفضي إليهم بموضوع حديثك ، وتضع عنك مؤونة
الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم ، وأهل هذه الطبقة الذين هم أهلها قليل
لأن ذا الرأي لا يدخل أحداً من نفسه هذا المدخل إلا بعد الاختبار والسبر
والثقة بصدق النصيحة ووفاء العهد .

اعلم أن لسانك أداة مصلته يتغالب عليه عقلك وغضك وهواك

وجهلك ، فكل غالب عليه مستمتع به وصارفه في محبته ، فإذا غلب عليه عقلك فهو لك وإذا غلب عليه شيء من أشباه ما سميت لك فهو لعدوك ، فإن استطعت أن تحتفظ به فلا يكون إلا لك ولا يستولي عليه أو يشاركك عدوك فيه فافعل .

إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية فاعلم أنك قد ابتليت معه إما بالمؤاساة فتشاركه في البلية ، وإما بالخذلان فتحتمل العار فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك وآثر مروءتك على ما سواها ، فإن نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها فأجمل فعل الإجمال يسعك لقلته في الناس .

إذا أصاب أخاك فضل فإنه ليس في دنوك منه وابتغائك مودته وتواضعك له مذلة فاغتنم ذلك واعمل فيه . . .

إذا كانت لك عند أحد صنيسة أو كان لك عليه طول فالتمس إحياء ذلك بإماتته وتعظيمه بالتصغير له ، ولا تقتصرن في قلة المن على أن تقول : لا أذكره ولا أصغي بسمعي إلى من يذكره ، فإن هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم ، ولكن احذر أن يكون في مجالستك إياه وما تكلمه به أو تستعينه عليه أو تجاربه فيه شيء من الاستطالة فإن الاستطالة تهدم الصنيسة وتكدر المعروف .

إحترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل واعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة ، واعلم أنك لا تصيب الغلبة إلا بالجهاد وإن قلة الإعداد لمدافعة الطبايع المتطلعة هو الاستسلام لها ، وإنه ليس أحد إلا فيه من كل طبيعة سوء غريزة وإنما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء ، فأما أن يسلم أحد من أن تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع ، إلا أن الرجل القوي إذا كابرها بالقمع لها كلها كلما تطلعت لم يلبث أن يميته

حتى كأنها ليست فيه ، وهي في ذلك كأمينة كمن النار في العود فإذا وجدت قادحاً من علة أو غفلة استورت . . . كما تستوري النار عند القدح ثم لا يبدأ ضررها إلا بصاحبها كما لا تبدأ النار إلا بعودها التي كانت فيه .

ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فإن ذلك ما لا يكاد يخطئك فإن الصبر صبران : صبر الرجل على ما يكره ، وصبره عما يحب ، فالصبر على المكروه أكثرهما وأشبههما أن يكون صاحبه مضطراً واعلم أن اللثام أصبر أجساداً والكرام أصبر نفوساً ، وليس الصبر الممدوح بأن يكون جلد الرجل وقاحاً أو رجله قوية على المشي أو يده قوية على العمل ، وإنما هذا من صفات الحمير ، ولكن أن يكون للنفس غلوباً وللأمر محتملاً وفي الضر متجملاً ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتبطاً وللحزم مؤثراً وللهور تاركاً وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً ولبصره بعزمه منفذاً .

حبب إلى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وبلغتك ، واعلم أن العلم علمان علم للمنافع وعلم لتزكية العقول ، وأفشى العلمين وأجداهما أن ينشط له صاحبه من غير أن يحرض عليه علم المنافع، وللعلم الذي هو ذكاء العقول وصقالها وجلأؤها فضيلة منزلة عند أهل الفضل في الألباب .

عود نفسك السخاء واعلم أنهما سخاءان سخاوة نفس الرجل بما في يديه ، وسخاوته عما في أيدي الناس وسخاوة نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة ما في أيدي الناس أمحض في التكرم وأنزله من الدنس . . . فإن هو جمعهما فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم .

ليكن مما تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسوداً فإن الحسد خلق لئيم ومن لؤمه أنه يوكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب والأكفاء

بعض معاني المفردات :

"و لمعرفتك رفقك و محضرك"

معنى

رفد : عطاء

المحضر : المنهل

" و اضن بدينك "

أضن : ابخل

"إن مسعت كلامك أو رأيا يعجبك فلا تنتحله"

تنتحله : تسرقه و تنسبه لنفسك

" و هذا من سوء الأدب الفاشي "

الفاشي : المنتشر